خطبة: قصة الثلاثة ( الابرص والاقرع والاعمى )

الخطيب: يحيى سليمان العقيلي

معاشر المؤمنين

القصص النبوي كانت من أساليب النبي -صلى الله عليه وسلم- لتربية أصحابَه وأمتَه من بعد ،

ولم تكن القصص، النبوية للتسلية، والأنس بل كانت للعبرةِ والعظة والتربية ،،

ومن ذلك تلكم القصةُ العجيبة، التي رواها البخاري ومسلم في صحيحيهما، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إن ثلاثة في بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، فأراد الله أن يبتليهم؛ فبعث إليهم ملَكًا:

فأتى الأبرصَ، فقال: أيُّ شيء أحبَّ إليك؟ قال: لونٌ حسنٌ، وجلدٌ حسنٌ، ويذهبُ عني الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه قذَرُه، وأُعطيَ لوناً حسناً وجلداً حسناً.

قال: فأي المال أحبَّ إليك؟ قال: الإبل، قال: فأُعطي ناقةً عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأقرعَ، فقال: أي شيء أحبَّ إليك؟ قال: شَعرٌ حسنٌ ويذهبُ عني هذا الذي قد قذرني الناس، قال: فمسحه فذهب عنه، وأُعطي شَعراً حسناً.

قال: فأيّ المالِ أحبَّ إليك؟ قال: البقر، فأُعطي بقرة حاملاً، فقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى، فقال: أيّ شيء أحبَّ إليك؟ قال: أن يَرُد اللهُ إليّ بصري، فأُبصر به الناس، قال: فمسحه فرد اللهُ إليه بصره.

قال: فأيّ المال أحب إليك؟ قال: الغنم، فأُعطي شاة والداً، فأُنْتِجَ هذان وولدَ هذا، قال: فكان لهذا وادٍ من الإبل، ولهذا وادٍ من البقر، ولهذا وادٍ من الغنم.

قال: ثم إنه أتى الأبرصَ في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكين، قد انقطعت بي الحبالُ في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللونَ الحسن، والجلد الحسن، والمالَ، بعيراً أتبلّغ عليه في سفري، فقال: الحقوق كثيرة! فقال له: كأني أعرفك! ألم تكن أبرصاً يقذرك الناس؟ فقيراً، فأعطاك الله؟ فقال: إنما ورثتُ هذا المال كابراً عن كابر، فقال: إن كنتَ كاذباً؛ فصيرك اللهُ إلى ما كنتَ!

قال: وأتى الأقرعَ في صورته، فقال له مثل ما قال لهذا، وردّ عليه مثل ما رد على هذا، فقال: إن كنتَ كاذباً فصيرك اللهُ إلى ما كنت.

قال: وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيل، انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله، ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك، شاةً أتبلغ بها في سفري،

فقال: قد كنتُ أعمى فرد اللهُ إليّ بصري، فخذ ما شئتَ، ودع ما شئت، فوالله لا أجهدُك اليوم شيئاً أخذتَه لله، فقال: أمسك مالَك، فإنما ابتُليتم، فقد رضي عنك، وسَخِط على صاحبيك" (صحيح البخاري ح3464، صحيح مسلم ح: 2964).

معاشر المؤمنين

قصةٌ معبّرة تتكرر في تاريخ البشر وواقعهم بصور شبيهة وباشكال مختلفة ، حرّي أن نقف مع دروسها وعبرها موقف المتّعظ المتدبّر ،

فمن دروسها العظيمة وجوبُ الإقرارِ بنعم الله تعالى ، والاعترافُِ بفضله بكل مأنعم به علينا من النعم ، فقد دعانا سبحانه لذلك فقال جلّ وعلا " وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ (53 النحل) ، وفي مقابل هذا عظمُ إثمِ الجحودِ والانكار بفضل الله على العبد ، ونسبةِ ذلك لنفسه ، كما فعل قارونُ فخسف الله به وبداره الارض " قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ "

(78القصص) وهذا مصير من كفر بنعم ربه ونسبها لنفسه، وجحد إحسانه وفضله، قال تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [النحل: 83]

ففي هذه القصةِ جحد الأبرص والأقرع نعمة الله، فما أقرّا لله بنعمه عليهما ولا أديا حقَّ الله فيها ، فحلّ عليهم السُخْط.

وأما الأعمى، فقد اعترف بنعمة الله تعالى ،، وأدى حق الله فيها، وكان عبداً شكورا ، فاستحق الرضا من الله.

ومن الدروس : فضل الصدقة، والحث عليها، فللصدقةِ فوائدٌ وعجائب، ولطائفٌ ورغائب، ولو لم يكن فيها إلا تلك الدعوة المباركة صباح كل يومٍ لكفى بها ترغيبًا وتزكية، وهي قول الملك كل صباح: "اللهم أعط منفقًا خلفًا"، والصدقة تُطفئ الخطيئة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماءُ النار " . ومن منافع الصدقة أن المتصدق يستظل في ظل صدقته يوم القيامة فعن عقبة بن عامر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلُّ امرئٍ في ظلِّ صدقتِه ، حتى يُقضَى بين الناسِ " (صحيح الجامع )

وفقنا الله لمايحب ويرضى وأعاننا على البّر والتقوى ، أقول ماتسمعون وأستغفر الله لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

معاشر المؤمنين

ومن دروس هذه القصة : الرفقُ بالضعفاء وإكرامُهم، والحذرُ من كسر قلوبهم واحتقارهم:كما حذّر ربّنا وقال ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: 10]،

ومنها: إختباره سبحانه لعباده، وامتحانه لهم، فهذه سنّةٌ ربانية ماضية ، قال تعالى " أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2 العنكبوت )

وقد قال سبحانه: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35]، وقال سبحانه عن سليمان -عليه السلام-: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: 40].

ومن دروس هذه القصة وعبرها : إنَّ مِنْ شكرِ الله على نعمة المال إخراجُ الحقوق الواجبة؛ كالزكاة، والنفقة الواجبة، والصدقة المستحبة؛ كالإطعام والكسوة والسقيا إبتغاءَ مرضاة الله ، قال تعالى " وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)( الانسان)